

(الالتزام ... و غواية الدنيا!)

obeikandi.com

الالتزام... و غواية الدنيا ! - ١

عن البراء بن عازب - رضى الله عنه - قال :

جعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم- على الرماة، يوم أحد؛ وكانوا خمسين رجلاً، عبد الله بن جبير.

قال : ووضعهم مكانا ، وقال لهم :

"إن رأيتمونا تخطفنا الطيرُ، فلا تيرحوا من مكانكم هذا، حتى أُرسل إليكم، فإن رأيتمونا هَرَمْنَا القومَ وأوطأناهم، فلا تيرحوا حتى أُرسل إليكم".

قال : وسار رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ومن معه .

قال : فهزمهم. قال: فأنا والله رأيت النساء يشتددن على الجبل بدت خلاخلهن

وأسوقهن رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبد الله بن جبير:

الغنيمة ، أى قوم الغنيمة ، قد ظهر أصحابكم فماذا تنتظرون ؟..."

(حديث صحيح أخرجه أحمد و البخارى و آخرون).

.....

.....

تقدم غزوة أحد أو يوم أحد درساً مهماً مستديماً، ينبغى أن يستذكره المسلمون فى كل عصر و مكان ، سواء على المستوى الشخصى أو الصعيد الاجتماعى . فهذه الغزوة جاءت فى انعطافة مهمة فى تاريخ الإسلام و المسلمين ، بعد أن انتصر المسلمون على المشركين فى غزوة بدر ، مع التفاوت الكبير بين الطرفين من حيث القوة و العدد و العدة .. وكانت موازين التفوق جميعاً تصبّ فى صالح المشركين و لكن الحق سبحانه و تعالى نصر المسلمين مع ضعفهم و قلتهم و ضالة إمكاناتهم ... و شهد العام الثانى للهجرة الشريفة انقلاباً عظيماً فى طبيعة القوى التى تتحرك على أرض الجزيرة العربيّة، فقد صار للإسلام و المسلمين وجود مؤثر و فعّال؛ لانتطيع القوى الأخرى أن تتجاهله ، أو تتعاضى عنه ...ومن ثمّ فقد تحرّكت قريش بوصفها قيادة المشركين ، عقب هزيمتها فى بدر لتردّ على المسلمين ، وتستعيد مكانتها التى فقدتها، بالعدد الكبير من القتلى و الأسرى ، و الخسائر المادية التى لا يستهان بها...

كان استعداد قريش للمواجهة العسكرية مع المسلمين يمضى على قدم وساق ، فكانت تجيش الجيوش وتعد التحالفات مع القبائل المجاورة ، لتحقيق نصراً ساحقاً يعيد إليها مكانتها المهذرة ، ووجودها المهذب . وتوجهت إلى المدينة المنورة حيث يقيم المسلمون مع نبيهم - صلى الله عليه وسلم - لتهاجمهم ونقضى عليهم فى عقردارهم .

بيد أن الأمر بالنسبة لقريش وحلفائها لم يكن سهلاً ، فقد استعد المسلمون بقيادة الرسول - صلى الله عليه وسلم - مع أصحابه لسير المعركة ، وكان التخطيط محكماً ، أحرز المسلمون بموجبه نصراً مؤزراً فى بداية المعركة ، التي أوشكت أن تنتهى بنصر ساحق ، لولا أن الأمور أخذت مجرى آخر مؤسفاً ومؤلماً ، وهو ما تشير إليه هذه القصة التي بين أيدينا ، ويتضمنها الحديث الذي رواه البراء بن عازب ؛ رضى الله عنه .

إن الدرس المهم والمستديم الذي تقدمه القصة للمسلمين جيلاً بعد جيل ، يتمثل فى ضرورة الالتزام ، بما تتفق عليه القيادة العسكرية ، مهما كانت الإغراءات أو المرهبات ، لأن فى هذا الالتزام كسبٌ كبير لجموع الأمة ، وترك هذا الالتزام خسارة كبرى تصيب الأمة فى مقتل وهي إصابة تتجاوز أفراد الجيش المقاتل إلى عامة الناس وجموعهم .

لقد وضع الرسول - صلى الله عليه وسلم - خطة تحمى ظهر الجيش الإسلامى وهو يواجه جيوش المشركين ، وتتمثل هذه الخطة فى وضع مجموعة من خمسين رجلاً أو مقاتلاً بقيادة عبدالله بن جبير وهم الرماة ، وأوصاهم ألا يرحوا مكانهم ، مهما كانت الظروف ، وحذرهم من مغادرة المكان إلا بعد أن يطلب منهم ذلك ، حتى لو رأوا الجيش الإسلامى حقق الانتصار والظفر . وكان قوله - صلى الله عليه وسلم - قاطعاً وحازماً وحاسماً بعدم المغادرة حتى لو انهزم المسلمون والتهمت الجوارح أجسادهم الميتة :

"إن رأيتمونا تخطفنا الطيرُ ، فلا تبرحوا من مكانكم هذا ، حتى أُرْسِل إليكم .
فإن رأيتمونا هَزَمْنَا القوم و أوطأناهم فلا تبرحوا حتى أُرْسِل إليكم "

كأنَّ الرسول الكريم - صلى الله عليه و سلم- كان يستشف ببصيرته ما يمكن أن يحدث من هذه المجموعة فى حالتى الهزيمة و الانتصار. فكرر قوله- صلى الله عليه و سلم- " لا تبرحوا " .. "حتى أُرسل إليكم"، لقد حذر من ترك المكان فى الحالة الأولى وكنى عنها بقوله " رأيتمونا تخطفنا الطير " ، و يقصد بالطير النسور و العقبان و ما شابهما من الطيور الجارحة ، و هى عادة تهبط على جثث الموتى لتتغذى بها و يحدث هذا عقب انتهاء القتال ، و انسحاب الجيوش فى تقاليد الحروب القديمة .

كما حذر- صلى الله عليه و سلم- من ترك المكان فى الحالة الأولى وكنى عنها بقوله "هَزَمْنَا القوم و أوطأناهم" أى صاروا تحت أقدامنا جثثاً هامة بعد قتلهم .. و تكرار التحذير على هذا النحو كان يفرض على المجموعة ألا تستجيب لأى مؤثر من مؤثرات المعركة سواء كان هزيمة أو انتصاراً ، و لكن المفاجأة أنهم شاهدوا الأسرى و السبايا من المشركين بأيدى المسلمين ، فعرفوا أن الانتصار على المشركين قد تحقق ، و أن هذه علامته ، حيث ظهرت خلاخيل النساء و سيقانهم بعد أن رفعن ثيابهن و هن مشدودات دليلاً على الأسر و الرقّ ، وفقاً لتقاليد هذا الزمان .. و هو ما دفع أصحاب قائد المجموعة عبد الله بن جبير إلى القول أو الهتاف :

" الغنيمة .. أى قوم الغنيمة ، فقد ظهر أصحابكم فماذا تنتظرون ؟ "
و كانت هذه العبارة بداية المخالفة للالتزام ، مما ترتب عليه أمر جليل ، و تطور

خطير .

الالتزام .. وغواية الدنيا - ٢

حينما هتف أصحاب عبد الله بن جبير : الغنيمة ، قد ظهر أصحابكم فماذا تنتظرون ؟ قال لهم عبد الله بن جبير فى حديث البراء بن عازب رضى الله عنه :

"أنسيتم ما قال لكم رسول الله - صلى الله عليه و سلم ؟

فقالوا : إنا والله لنأتين الناس ؛ فلنصيب من الغنيمة ، فلما أتوهم ، صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين ، فذاك حين يدعوهم الرسول- صلى الله عليه و سلم- فى أخراهم ، فلم يبق مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم- غير اثنى عشر رجلاً ، فأصابوا منا سبعين ، وكان رسول الله - صلى الله عليه و سلم- وأصحابه أصاب من المشركين يوم بدر أربعين و مائة - سبعين أسيراً ، وسبعين قتيلاً .

فقال أبو سفيان : أفى القوم محمد ؟

فنهاهم رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أن يجيبوه ، ثم قال :

أفى القوم ابن أبى قحافة ؟ ثلاث مرات ، ثم قال :

أفى القوم ابن الخطاب ؟ ثلاث مرات ، ثم رجع إلى أصحابه ، فقال : أما هؤلاء فقد قتلوا . فما ملك عمر نفسه ، فقال :

كذبت يا عدو الله . إن الذى أعددت لأحياء كلهم . وقد بقى لك ما يسوؤك .

فقال : يوم بيوم بدر ، والحروب سجال"

.....

الغنيمة ، هى ما يكسبه الجيش المنتصر المنهزم فى الحروب القديمة والحديثة معاً وابن اختلفت أنواع الغنيمة وأهميتها وقيمتها .. وهى غواية للنفس البشرية حين ترتبط بالدنيا وتغفل عن الآخرة .

وهى أيضاً اختبار لمدى الالتزام وقوة اليقين لدى المسلم حين يُطلب منه القيام بواجبه وعدم التأثر بوجود الغنيمة أو بحدوث الهزيمة كما فى القصة التى بين أيدينا .

لقد هتف أصحاب عبد الله بن جبير، حين رأوا الأسرى والسبايا : الغنيمة .. وقالوا لأصحابهم : من مجموعة الحماية التي عينها الرسول - صلى الله عليه وسلم - لتحول بين الأعداء وظهر الجيش المسلم : ماذا تنتظرون ؟ وهو تحريض صريح على ترك الموقع العسكرى والانطلاق لجمع الغنائم اعتقاداً أن المعركة قد انتهت ، وأن يوم أحد قد انتهى لصالح المسلمين، ولكنهم حين ذهبوا لجمع الغنائم، حدث التحول في الموقف ، وتراجع المسلمون ، وصرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين !

الهزيمة قاسية ، والتراجع مؤلم ، والمواجهة ساخنة ، والرسول - صلى الله عليه وسلم - ينادى المسلمين المقاتلين كي يثبتوا ، ويواجهوا العدو ، ولكن الذين بقوا معه - صلى الله عليه وسلم - كانوا عدداً قليلاً من المجاهدين بلغوا اثني عشر رجلاً ، قاتلوا وثبتوا وصدوا حتى استعاد المسلمون توازنهم ، وانتهت المعركة مخلفة عدداً كبيراً من الإصابات أو القتلى بلغوا سبعين صحابياً مجاهداً .. وهو يعدّ عدداً كبيراً بالنسبة لحجم قوة المسلمين ، مع أن قريشاً خسرت في معركة بدر ضعف هذا العدد ، حيث أسر المسلمون منهم سبعين رجلاً ، وقتلوا سبعين آخرين .

سبب الهزيمة إذاً معروف ومعلوم وساطع ، وهو عدم الالتزام بتعليمات الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقد حذر المجموعة التي تحمى ظهر الرماة بعدم ترك المكان أو الموقع تحت أى ظرف من الظروف ، " لو رأيتمونا تخطفنا الطير ، فلا تبحروا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم " و هذه حالة الهزيمة كما سبقت الإشارة ، وأيضاً في حالة الانتصار "فإن رأيتمونا هزمتنا القوم و أوطاناهم فلا تبحروا حتى أرسل إليكم " وقد خالفت المجموعة التعليمات ، وتركت الموقع ، واستسلمت لغواية جمع

الغنائم فكان التراجع وكانت الهزيمة ، وعاد القوم بلا غنيمة ولا انتصار !
وتقدم لنا القصة صورة مثيرة ، من صور الحرب النفسية ، وهذه الحرب تكون أحياناً أشدّ وأقسى من الحرب المسلحة ، لأنها تهزم الروح ، وتزعزع اليقين ، وتزعزع اليأس والإحباط .

لقد خرج أبو سفيان بن حرب ، قائد جيوش المشركين فى بدر وأحد ، ليثأر لهزيمته فى بدر ، بالسؤال عن قادة المسلمين الأساسيين ، وبيت الذعر والخوف والوحشة فى نفوس المسلمين بعد سقوط ضحاياهم الذين بلغوا سبعين صحابياً مجاهداً ، وراح يسأل عن قتلى المسلمين فى ذكاء خبيث يكشف عن نواياه ومشاعره.. فهو لم يسأل عن قتلى عاديين من المسلمين ، ولكنه سأل عن الشخصيات الرئيسية فى شماتة واضحة ، قابلها الرسول - صلى الله عليه وسلم - بحنكة ووعى .

لقد سأل أبو سفيان : أفى القوم محمد ؟ أى أفى القتلى محمد ؟ وكانت الإجابة هى الصمت ، حيث نهى الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن الرد عليه . فسأل أبو سفيان أفى القوم ابن أبى قحافة ، يقصد أبا بكر ؟ وكرر سؤاله ثلاث مرات دون أن يجد إجابة ، ثم كرر السؤال عن عمر بن الخطاب ثلاث مرات أيضاً ، ولم يجد رداً من جانب المسلمين . وهو ما أوقعه فى خذلان واضح ، حيث لم يسعد بالردّ الذى كان ينتظره ويتمناه . وهو موت القادة الثلاثة .. ولكنه توهم أن الصمت من جانب المسلمين يعنى موتهم ، وبدأت المسألة على كل حال ، كأنها مباراة فى مجال الحرب النفسية : مَنْ يغلبُ من ؟

ثم كان الردّ الصاعق على أبى سفيان من جانب عمر رضى الله عنه ، وذلك بعد أن أعلن أبو سفيان أن القادة الثلاثة قد قتلوا حيث أراد أن يمنح قومه نصراً إضافياً معنوياً ، فوق النصر العسكرى فقد فاجأه عمر بقوله :

" كذبت يا عدوّ الله . إن الذى أعددت لأحياء كلهم ، و قد بقى لك ما يسوؤك " .
وأصيب أبو سفيان بهزيمة نفسية يدل عليها قوله: "يوم بيوم بدر، والحرب سجال.."

الالتزام ..وغواية الدنيا - ٣

ردّ أبو سفيان على عمر بقوله : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ..ثم يقول في الحديث الذى رواه البراء بن عازب رضى الله عنه :

"إنكم سترون فى القوم مُنْثَلَةً لم أمربها ولم تُسَوْنى . ثم أخذ يرتجز: أَعْلُ هُبْل ، أَعْلُ هُبْل .

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " ألا تجيبوه؟"

فقالوا : يا رسول الله ما نقول ؟

قال : قولوا : الله أعلى و أجلّ "

قال : إن لنا عزي ، و لا عزي لكم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا تجيبوه؟ "

قالوا : يا رسول الله ، ما نقول ؟

قال : قولوا : الله مولانا ، ولا مولى لكم "

.....

الحرب النفسية جزء مهم من الحرب العسكرية، وأحيانا تكون الجزء الحاسم فى بعض الحروب ، لأنها تسهل على القوات المهاجمة هزيمة القوات المدافعة بأقل قدر من الخسائر، و فى الحروب الحديثة نماذج عديدة لهذه الحرب و تأثيراتها غير المحدودة، وقد استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم - فى غزواته ، و يؤثر عنه قوله- صلى الله عليه وسلم : " نُصرت بالرعب"، وهو نصر صنعته الأخبار والمشاهد التى نقلت عن المجاهدين المسلمين وأحوالهم، سواء كانوا فى القتال أو فى الطريق إلى الحرب. ولم يكن موقف أبى سفيان عقب انتهاء يوم أحد إلا وجها من وجوه الحرب النفسية كما سبقت الإشارة، فقد أراد أن يستعرض قوته وشماته، و يؤكد للمسلمين أن قريشاً لن تهزم، وأن ما حدث يوم بدر- على أهميته و عظمته من انتصار للمسلمين وهزيمته للمشركين - لن يتكرر مرة أخرى ، وهذا معنى قوله : " يوم بيوم

بدر، والحرب سجال .."، ومعنى الحرب سجال، أن من يغلب في مرة يُغلب في المرة الأخرى، وكأنه يقول لقادة المسلمين: لا جدوى من حربكم ضد قريش، فسوف تنهزمون في النهاية !!

لم يتوقف أبو سفيان عند هذا الحد من التفاخر والخيلاء، فضلاً عن الشماتة الفاضحة، بل أشار إلى سلوك ذميم اتخذه مقاتلوه ضد الشهداء المسلمين، وهو التمثيل بجثثهم، أى طعن الشهداء بعد موتهم، وتمزيق أجسادهم، والتصرف فيها بطريقة تتنافى مع حرمة الموت، وهو ما يرفضه الإسلام والفطرة السليمة، وهناك مثال شهير على التمثيل، وهو ما جرى " لحمزة بن عبد المطلب" عم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعد أن قتله وحشى بن حرب، فقد مثلت بجثته هند بنت عتبة، زوج أبي سفيان وأخرجت كبده، ومضغتها، شفاء لغيلها، وثأراً لمن قتلهم المسلمون في بدر، وفيهم بعض أقاربها، ولذا لا يخافت أبو سفيان بالإشارة إلى ما فعله قومه ليزيد في الإهانة والاستخفاف، وتحطيم نفسية المسلمين، **فيقول:**

" إنكم سترون في القوم مثلاً لم أمر بها و لم تسؤنى "، وكأنه يعلم أن العرب قد تستنكر ما أقدمت عليه قريش من تمثيل بجثث الشهداء . فيشير إلى أنه لم يأمر به وفي الوقت نفسه يوظف هذا الفعل للتأثير النفسى وحربه النفسية على المسلمين . فيقول "ولم تسؤنى" .. أى إنه يخلى مسئوليته من الفعل الشنيع، ولكنه يرحب به إمعاناً فى الكيد والإهانة !

ولم ينس أبو سفيان القضية الأساس فى الصراع بين المسلمين، وهى قضية التوحيد، فيرتجز فى سياق حربه النفسية هاتفا باسم الصنم الأشهر الذى تعبد به قريش: **أعل هبل، أعل هبل .**

وهذا الصنم واحد من مجموعة أصنام شهيرة وصنعها العرب حول الكعبة منها: اللات والعزى ومناة، وقد جاء الإسلام ليهدم هذه الأصنام التى كان العرب

يعبدونها من دون الله . بيد أن أبا سفيان ، وهو يستغل لحظة الهزيمة التي نزلت بالمسلمين في أحد يدعو لهبل بالعلو والرفعة ، وكأنه يقول : لقد انتصرت الوثنية على الإسلام ، والشرك على التوحيد ..

ويعلمتنا الرسول -صلى الله عليه وسلم- منهجاً مهماً يعيد القضية إلى مركزها الأساسى ، وهو "التوحيد" ، ويطلب من المسلمين أن يردّوا على أبى سفيان الذى هتف لهبل رمز الشرك والوثنية "ألا تجيبوه؟"

ولكن المسلمين لا يعرفون كيف يجيبون ، فيسألونه عن الطريقة "ماذا نقول؟" فيعلمهم أن يقولوا "الله أعلى وأجل" ، أى إن الله المعبود الحق هو الأعلى والأعظم. وإن هبل واللات والعزى وغيرها من الأصنام لن تعلو ولن تعزّ أبداً ، فالحق يعلو ، والباطل يهبط . والأمر ذاته ينطبق على مفاخرة أبى سفيان بالعزى "إن لنا عزى ولا عزى لكم" ، فقد كان رد المسلمين كما علمهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- "الله مولانا. ولا مولى لكم" الله ناصر المسلمين وحافظهم مهما كانت المحن والشدائد.

الصراع بين الحق والباطل يوجب الالتزام بالأوامر الإلهية ، وطاعة النبى -صلى الله عليه وسلم- والخضوع لما تتفق عليه الأغلبية أو جموع المسلمين، ومخالفة هذا الالتزام تقود إلى التشرذم والخلاف والهزيمة وهو ما حدث فى "يوم أحد" حين خالف بعض المسلمين التعليمات النبوية وبارحوا المكان الذى وضعهم فيه الرسول -صلى الله عليه وسلم- دون إذنه وطمعوا فى الغنائم أو عرض الدنيا، وهو ما تسبب فى هزيمة الجيش الإسلامى - وتمكّن المشركين من إصابة سبعين مسلماً ، وشماتة أبى سفيان الصارخة فى المسلمين ، ومحاولته استغلال الهزيمة لكسر روحهم المعنوية ، وإثارة الإحباط واليأس فى نفوسهم ، ولكن الرسول -صلى الله عليه وسلم- علم المسلمين فى هذه المحنة كيف يواجهون عدوهم بالإيمان والصبر.

أسئلة .. وأجوبة

obeikandi.com

أَسْئَلَةٌ .. وَأَجْوِبَةٌ - ١

عن أنس - رضى الله عنه - قال : جاء عبد الله بن سلام - رضى الله عنه - إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - مقدمه إلى المدينة ، فقال :

إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ، ما أول أشراط الساعة ؛ وأول ما يأكل أهل الجنة ؟ والولد ينزع إلى أبيه و أمه ؟

فقال : "أخبرنى بهن جبريل عليه السلام أنفا"

قال عبد الله : ذلك عدو اليهود من الملائكة .

قال : "أما أول أشراط الساعة، فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب " .

"و أما أول طعام يأكله أهل الجنة كبد الحوت"

و أما الولد فإذا سبق ماء الرجل ترعه ، وإذا سبق ماء المرأة ترعت"

قال عبد الله : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنك رسول الله .

يا رسول الله ، إن اليهود قوم بُهتت ، وإن علموا بإسلامى قبل أن تسألهم

بهتونى عندك (...). (حديث صحيح ؛ أخرجه أحمد و البخارى و آخرون)

.....

.....

كانت علامات النبوة المحمدية معروفة لدى أصحاب الكتب السماوية السابقة على الإسلام ، وكان بعضهم يتمنى أن يكون النبى المنتظر ، أو خاتم الأنبياء منهم ، وشاءت إرادة الله أن يكون النبى الخاتم من العرب ، من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

وكان بعض اليهود يحرصون قبل إعلان إسلامهم أن يسألوا النبى - صلى الله عليه و سلم - عدداً من الأسئلة ، يعرفون من إجاباتها دلائل النبوة ، وصدق الرسالة، وهذا ما فعله عبد الله بن سلام رضى الله عنه - قبل إسلامه، وكان يهوديا ، على علم بطرف من التوراة و ما جاء فيها حول نبى آخر الزمان، أوعلامات النبوة بصفة عامة .

لقد جاء عبد الله بن سلام إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - عقب قدومه إلى المدينة ، وأراد أن يعرف مدى بنوته وصدق رسالته ، فقال له إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي . أى إنه قرر كى يؤمن بهذا النبي ؛ أن يختبره أولاً وفقاً لما تعلمه من أبحار اليهود ، ويطرح عليه ثلاثة أسئلة ، فإن كانت الإجابة عليها كما تعلم وعرف فهو حقاً نبي ، وإن جاءت إجاباته غير ذلك ، فهو ليس بنبي .

و السؤال الأول أو المسألة الأولى تتعلق بعلامات الساعة أو القيامة ، والثانى حول أول ما يأكله أهل الجنة ، والثالث حول انتماء الولد لأبيه وأمه من حيث الشبه أو الطبيعة البشرية أو البيولوجية .

ويبدو أن عبد الله بن سلام ، فوجيء باستعداد الرسول - صلى الله عليه وسلم - للإجابة على هذه الأسئلة ، فقد أخبره أن جبريل عليه السلام ، أخبره بالإجابة عليها من قبل ، وهذا يعنى أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - نبي يوحى إليه ، أو أنه نبي حقيقى يملك الإجابة عن الأسئلة الثلاثة التى طرحها ابن سلام . ولذا قال عن جبريل عليه السلام إنه عدو اليهود من الملائكة .

السؤال الأول حول علامات الساعة و أول هذه العلامات

" نار تحشرهم من الشرق إلى الغرب " .

و الساعة لا يعلم وقتها إلا الله ، ولكنه أوحى إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - بعلاماتها أو أشراتها كى يكون المسلمون على وعى بها ، فيتنداروا ما فاتهم ، ويصلحوا دنياهم بدينهم . قال تعالى :-

"يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ۗ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ

تَكُونُ قَرِيبًا" (سورة الأحزاب : الآية ٦٣)

و قال تعالى :-

"إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ..."

(سورة لقمان من الآية ٣٤)

وقال تعالى :-

"يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا ﴿٤٦﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٤٧﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ

مُنْتَهَىٰ ﴿٤٨﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن تَحْشَدُهَا" (سورة النازعات الآيات ٤٢-٤٥)

فالقرآن الكريم سجّل أن أحداً غير الله سبحانه لا يعرف موعدها ، ولكنه تحدث عن أحداثها ووقائعها ، خاصة بالنسبة لمن كذبوا بها . وهناك آيات كثيرة تتحدث عن هول الساعة بالنسبة لهؤلاء

"...وَالسَّاعَةُ أَدهَىٰ وَأَمْرٌ" (سورة القمر من الآية ٤٦)

"...وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ" (سورة غافر من الآية ٤٦)

وهو ما يتسق مع قول النبي - صلى الله عليه وسلم : "نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب " ولعل ذلك تعبير عن شدة الهول أو الحرارة التي تحدث لإقتراب الشمس يوم القيامة ، ومعاناة الناس نتيجة ذلك .

كان السؤال الثانى عن أول طعام يأكله أهل الجنة . وكانت إجابة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأنه الجزء الزائد فى كبد الحوت ، أو حسب قوله "زيادة كبد الحوت" وهذا الجزء المعلق فى آخر الكبد ، يعدّ تكريماً لأهل الجنة . و تعبيراً عن عظيم الثواب الذى وُعدوا به فى الدنيا، بسبب طاعتهم لربهم ولنبيه- صلى الله عليه وسلم. ويبدو السؤال الثالث غيرمتجانس مع السؤالين السابقين المتعلقة بالإيمان ، فهذا السؤال يتناول علاقة الولد بولديه ، و من أيهما يحمل صفاته و ملامحه و خصائصه ولكنه فى سياق أسئلة عبد الله بن سلام ، يبدو متسقاً حيث يمثل آئناً أمراً لا يعرفه غير نبي يوحى إليه . وقد أجاب عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - وفقاً

لما علمه جبريل ، بأن الولد ينزع إلى أبيه أو أمه أى يشبه أيهما وفقاً لسبق أحدهما الآخر عند اللقاء الحميم .

و لما كانت هذه الإجابات على الأسئلة الثلاثة معروفة لدى عبد الله بن سلام، فقد أعلن على الفور إسلامه ، قائلاً : أشهد أن لا إله إلا الله ، و أشهد أن محمداً رسول الله.

وإسلام ابن سلام ، يمثل استجابة للحق ، وصدقاً مع النفس ، على العكس من غيره من اليهود الذين لا يستجيبون ولا يصدقون ، بل يغالطون و ينافقون ، وهو ما دفع ابن سلام إلى القول : " يا رسول الله : إن اليهود قوم بهت ، و إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك "

وهو ما يعنى أن فى أخلاقهم شيئاً يكشفه ما تبقى من القصة أو الحديث .

أسئلة..وأجوبة - ٢

بعد أنه نطق عبد الله بن سلام بالشهادتين ، عقب سماع إجابات الرسول -صلى الله عليه وسلم- على أسئلته . قال فى الحديث الذى رواه أنس رضى الله عنه:

يا رسول الله : إن اليهود قوم بهت ، وإن علموا بإسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى عندك ، فجاءت اليهود . فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

" أى رجل فيكم عبدُ الله بن سلام ؟ "

قالوا : خيرنا وابنُ خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا ، وأعلمنا .

قال : " أرأيتم إن أسلم عبدُ الله بن سلام ؟"

قالوا : أعاده الله من ذلك ، فخرج إليهم ، فقال :

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

قالوا : شربنا وابن شربنا ، وانتقصوه .

قال : يا رسول الله هذا ما كنت أخاف .

يا معشر اليهود ، اتقوا الله ، فوالله الذى لا إله إلا هو، إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بالحق ، فقالوا : كذبت . فأخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

.....

.....

تبدو دلالة القصة واضحة من خلال المفارقة التى صنعها سؤال الرسول -

صلى الله عليه وسلم...، وإجابتهم عليه حول إسلام عبد الله بن سلام .

لقد نطق عبد الله بن سلام بالشهادتين وأعلن إسلامه ، بعد أن تأكد من صدق نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - بأسئلته التى عرف إجابتها ، وتأكد من

صدقها وصحتها

وبعد أن أسلم ابن سلام ، فإنه نبه إلى خلة ذميمة وصفة كريهة فى قوله ،

وهى البهتان . والبهتان من الصفات المذمومة فى البشرية ، لأنها تعنى الكذب

والافتراء لذا لا يكون المؤمن كذاباً ، لأن الكذب أسّ البلاء والفساد والدمار . وقد ذمّه القرآن الكريم فى مواضع كثيرة ، منها حادثة الإفك . قال تعالى :

"إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ" (سورة النور : ١٥-١٦)

والبهتان العظيم هو الافتراء والكذب العظيم ، ومنها التوجيه إلى خطورة الافتراء على الغير ، وإصاق التهم الباطلة به .

قال تعالى :-

"وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا" (سورة النساء الآية ١١٢)

وقد وصف ابن سلام قومه من اليهود ، بأنهم قوم بهت . أى إنهم كذابون مفترون . وكان ابن سلام يريد أن يحذرّ النبى - صلى الله عليه وسلم - من سلوك اليهود وأخلاقهم فكذبهم أو افتراؤهم يمكن بسبب متاعب كثيرة للمسلمين ، وهو ما حدث بالفعل . وأراد أن يدلّل على صحة اتهامه لقومه ، بالدليل العملى والبرهان الواقعى ، وطلب منه - صلى الله عليه وسلم - أن يسألهم عن رأيهم فى عبد الله بن سلام نفسه ، دون أن يخبرهم أنه أعلن إسلامه ، ثم ينظر رأيهم ويعلن خبر إسلامه ، وبعدئذ يسمع لرأيهم فيه .

وقد سألهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن رأيهم فى عبد الله بن سلام ،

قائلاً:

"- أى رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟"

فكان ردّهم إيجابياً وطيباً حيث وصفوه بالخيرية والسيادة والعلم :

"خيرنا و ابن خيرنا . و سيدنا و ابن سيدنا ، و أعلمنا "

إذاً هذا هو رأى اليهود فى " عبد الله بن سلام " وهو يهودى ، وكما رأينا فهو رأى إيجابى وطيب ، ولكن ماذا كان رأيهم عندما طرح عليهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - تساؤلاً يقول :

" أرايتم إن أسلم عبد الله بن سلام ؟"

وهنا جاء ردّهم كاشفاً عن أعماقهم وأمانيتهم ، حيث عدوا إسلامه شراً يعيذونه بالله منه " أعاده الله من ذلك " ، وكأنهم ما زالوا يثقون أن ابن سلام لن يسلم ! بيد أن المفاجأة التى كانت تنتظرهم كانت خروج عبد الله بن سلام إليهم ، ليعلن الشهادتين أمامهم ، وحينئذ أثبتوا بالدليل القاطع والبرهان العملى أنهم كما وصفهم " قوم بهت " حيث انقلبوا فى لحظة قصيرة من وصفه بالخيرية والسيادة والعلم ، إلى عده شريراً وابن شرير ، بل استخدموا صيغة تفضيل ومبالغة فى الشرّ، مع الانتفاض منه والذم له . وهذا ما حذر منه ابن سلام فى أول الأمر عقب إسلامه " يا رسول الله هذا ما كنت أخاف منه " .

ولا يلبث ابن سلام أن يكشف حقيقتهم أمام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، حيث يخاطبهم بأنهم يعلمون أن محمداً رسول الله الذى جاء بالحق . والغريب أنهم يواجهونه بالبهتان مع أن موقفهم المتناقض قد فضحهم أمام المسلمين ، فيقولون لابن سلام : " كذبت " !

لقد تحدث القرآن الكريم كثيراً عن مواقف اليهود وانحرافاتهم ، باستثناء قلة منهم ، وإذا كان البهتان صناعتهم الشهيرة ، فإن ما وقع منهم فى تعاملهم مع المسلمين فى المدينة ، وغدرهم بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، كان سبباً لقتالهم فى أكثر من غزوة ، و سبباً آخر فى طردهم من المدينة .

إن البهتان لدى اليهود لم يقتصر على المخالفين لهم ، بل امتد إلى الخالق سبحانه حيث وصفوه مثلاً بالفقر والشح .

" وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ

مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ... " (سورة المائدة من الآية ٦٤)

" لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا

قَالُوا وَقَتَلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ... "

(سورة آل عمران من الآية ١٨١)